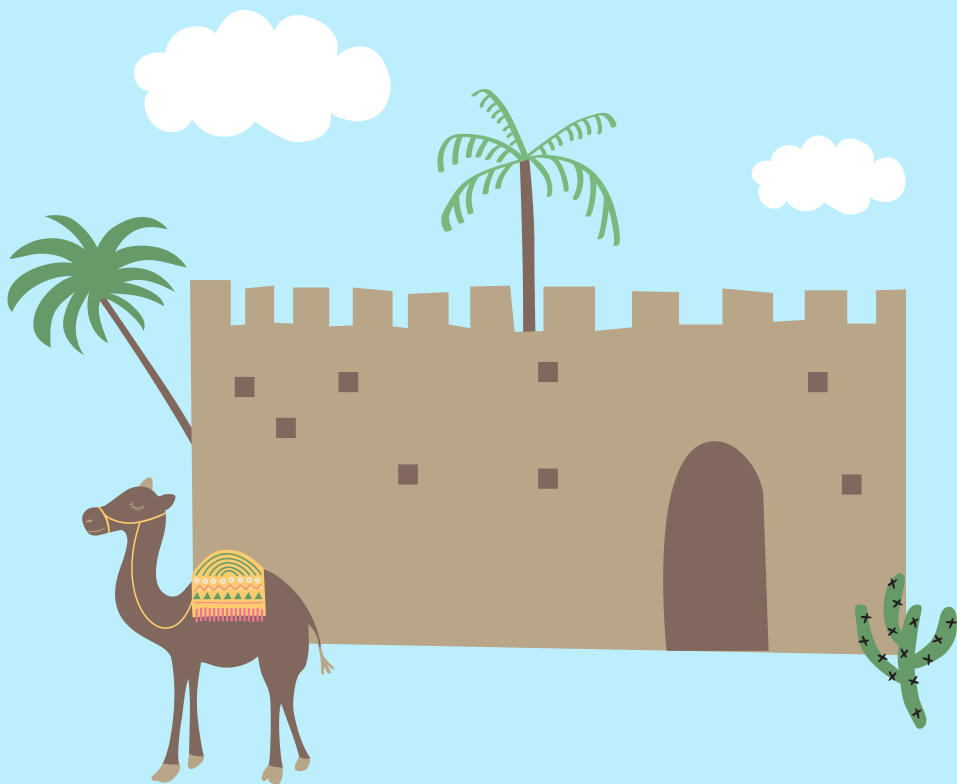


# أضواء من المولد السعيد

من حياة الرسول (أ)



كامل كيلاني



# أَضْوَاءٌ مِنَ الْمَوْلِدِ السَّعِيدِ

مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ (١)

تأليف  
كامل كيلاني



# أَضْوَاءٌ مِنَ الْمَوْلِدِ السَّعِيدِ

كامل كيلاني

## الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبرُ الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلي يسري

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٧٤٩ ٩

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة

المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل

الأصلي خاضعة للملكية العامة.

## أضواء من المولد السعيد

### ذكري المولد

- أَسْعَدَ اللهُ يَوْمَكَ يَا «سَعِيدُ».
- أَسْعَدَكَ اللهُ يَا «صَلَاحُ».
- كَانَ مِنْ عَادَةِ «رَشَادٍ» أَنْ يَزُورَنَا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ، مِنْ كُلِّ عَامٍ، لِيَحْتَفَلَ مَعَنَا بِذِكْرِي أَمْجِدِ مَوْلِدٍ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ.
- فَهَلْ أُرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَمْسٍ، تَدْعُوهُ إِلَى مُشَارَكَتِنَا، فِي هَذِهِ الذِّكْرَى الْعَطْرَةَ؟
- مِثْلُ «رَشَادٍ» فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُذَكِّرُهُ بِذَلِكَ؛ فَهُوَ يَحْرِصُ عَلَى الْإِحْتِفَاءِ بِهَا كَمَا تَحْرِصُ.
- وَهُوَ، إِلَى ذَلِكَ، يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ دَارُهُ، وَنَحْنُ إِخْوَتُهُ وَخُلَصَاؤُهُ.
- كَانَ مِنْ تَمَامِ الْمَسْرَةِ أَنْ نَتَّبَعَتْ مِنْ حُضُورِهِ.
- كُنْتُ مُعْتَزِمًا أَنْ أذَكِّرُهُ أَمْسٍ، ثُمَّ شَغَلْتَنِي الشَّوَاغِلُ عَنْ دَعْوَتِهِ.
- فَلِمَذَا لَمْ تَدْعُهُ فِي الصَّبَاحِ؟
- هَمَمْتُ بِذَلِكَ، وَإِذَا بِكَتَابٍ يَصِلُ إِلَيَّ مِنْهُ، يُذَكِّرُنِي بِمَا هَمَمْتُ أَنْ أذَكِّرُهُ بِهِ.
- فَهُوَ إِذَنْ أَتٍ فِي مَوْعِدِهِ، لَا مَحَالَةَ.
- إِنْ شَاءَ اللهُ.
- هَا هِيَ ذِي دَقَّاتِ السَّاعَةِ تُعَلِّنُ مَوْعِدَ حُضُورِهِ.
- وَهَا هُوَ ذَا رَبِينِ الْجَرَسِ يُؤْذِنُ بِقُدُومِهِ.
- مَرَحِبًا بِكَ، يَا «رَشَادُ». حَلَلْتَ أَهْلًا، وَنَزَلْتَ مَكَانًا سَهْلًا.

- تَأْبَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ سَبَاقًا دَائِمًا إِلَى كُلِّ مَكْرَمَةٍ، يَا «رَشَادُ».
- إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ السَّعِيدَةِ لَا تَمُرُّ بِي، دُونَ أَنْ أَنْعَمَ بِلِقْيَا أَكْرَمِ صَدِيقَيْنِ، وَأَنْبَلِ أَحْوَيْنِ.
- لَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُنَا بِكَ.
- كَمَا تَمَّتْ سَعَادَتِي بِكُمَا.

### الإحتفال بالمولد

- كَانَ مِنْ عَادَتِكَ، يَا «رَشَادُ»، أَنْ تُحَدِّثَنَا، فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ السَّعِيدَةِ، بِلَطَائِفٍ مِنْ ذِكْرِيَاتِكَ، وَبِدَائِعٍ مِنْ تَوْجِيهَاتِكَ، وَطَرَائِفٍ مِمَّا وَعَاهَ صَدْرُكَ الْحَافِظُ.
- فَمَاذَا أَعَدَدْتَ لِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ حَدِيثٍ؟
- كُلُّ غَرِيبٍ مُسْتَظَرَفٍ، وَمَلِيحٍ مُسْتَظَرَفٍ!
- بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ. فَهَاتِ حَدِيثَكَ الشَّائِقَ.
- إِنَّ مَجَالَ الْقَوْلِ وَاسِعٌ، وَأَفَاقَ الْحَدِيثِ فَسِيحَةٌ رَحْبَةٌ.
- وَهَيَّ، كَمَا تَعْلَمَانِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ فِي عَشْرَاتِ الْأَحَادِيثِ، بَلْهُ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ.
- فَأَيَّ جَانِبٍ، مِنْ مَنَاجِي هَذَا الْعَالَمِ الْفِكْرِيِّ، تُرِيدُ أَنْ تُخْصَهُ بِالْحَدِيثِ؟
- صَدَقْتَ، يَا «رَشَادُ». فَإِنَّ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الرَّسُولِ ﷺ جَدِيرَةٌ أَنْ تَشْغَلَ الْبَاحِثَ، وَتَمْلِكَ عَلَيْهِ شِعَابَ تَفْكِيرِهِ، وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ خُطْوَاتِهِ، وَلَمَحَةٍ مِنْ لَمَحَاتِهِ، وَلَفْتَةٍ مِنْ لَفْتَاتِهِ، مَجْلَى مِنْ مَجَالِي الْعِظَةِ وَالِاعْتِبَارِ.
- صَدَقْتَ، وَلَنْ يَسْتَوْعَبَ حَوَارُنَا، مِنْ هَذَا السُّفْرِ الْحَافِلِ بِجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ، إِلَّا مَقْدَارَ مَا يَسْتَوْعِبُهُ الْقَدْحُ، تَمْلُؤُهُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ!
- مَا أَحْكَمَ تَمَثِيلِكَ، وَأَصْدَقَ تَشْبِيهِكَ، يَا «رَشَادُ»!
- لَقَدْ وُلِدَ الرَّسُولُ ﷺ كَمَا تَعْلَمَانِ، فِي عَصْرِ حَالِكِ الظَّلامِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَدِدَ نُورَهُ كُلَّ مَا خَيَّمَ عَلَى الْكُونِ مِنْ سُحْبِ الْجَهَالَاتِ.
- صَدَقْتَ. وَكَانَ نُورُ هِدَايَتِهِ أَشْبَهَ بِالشَّمْسِ، تَطْلُعُ عَلَى الدُّنْيَا فَتُنِيرُهَا، وَتَقْطَعُ ظُلْمَاتِ اللَّيْلِ.

## أَضْوَاءٌ مِنَ الْمَوْلِدِ السَّعِيدِ

– صَدَقْتَ. وَقَدْ بَقِيَ هَدْيُ تَعَالِيمِهِ مُتَجَدِّدَ النُّورِ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، كَمَا يَتَجَدَّدُ نُورُ الشَّمْسِ، نَهَارًا بَعْدَ نَهَارٍ.  
وَقَدْ أَنَارَ مِنْ غِيَاهِبِ الْفِكْرِ، وَظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، أَضْعَافَ مَا تُنِيرُ الشَّمْسُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُونِ.  
– وَكَانَ لِلْبِدْرَةِ الصَّالِحَةِ – الَّتِي غَرَسَهَا بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ، وَتَعَهَّدَ نَمَاءَهَا بِجِهَادِهِ وَجِهَادِ صَحَابَتِهِ الْأَطْهَارِ – ثَمَرٌ يَانِعٌ.  
– وَكَانَ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذِهِ النَّوَاةِ الطَّيِّبَةِ أَنْ بَسَقَتْ وَلِيدَاتُهَا مِنَ الْأَشْجَارِ، فِي أَقَاصِي الْأَرْضِ، حَتَّى عَمَّتِ الْبِلَادَ وَالْأَمْصَارَ.  
– إِنَّ كُلَّ ذِكْرَى مِنْ ذِكْرِيَاتِ هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ لَتَحْمِلُ مِنْ جَلِيلِ الْمَعَانِي مَا لَا تَنْهَضُ بِتَصْوِيرِهِ أَشْرَفُ أَلْوَانِ الْفَصَاحَةِ الْعَالِيَةِ.

## مِيلَادُ الرَّسُولِ

– كَانَ الْعَامُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ مِنَ الْمِيلَادِ ٥٧١م، أَشْهَرَ مَا عَرَفْتَهُ الدُّنْيَا قَاطِبَةً.  
– لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ وُلِدَ فِيهِ الرَّسُولُ الْأَمِينُ.  
– وَوُلِدَ فِيهِ أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ، فَكَانَ أَكْرَمَ الْأَعْوَامِ.  
– وَكَانَ، إِلَى ذَلِكَ، حَافِلًا بِالْأَلْوَانِ مِنَ الْغَرَائِبِ.

## عَامُ الْفِيلِ

– كَانَ أَعْرَبَ مَا حَفَلَ بِهِ هَذَا الْعَامُ حَادِثُ «أَصْحَابِ الْفِيلِ».  
– إِنَّهُ حَادِثٌ مَعْرُوفٌ، ذَائِعُ الصَّيْتِ، وَلَكِنِّي طَالَمَا سَاءَلْتُ نَفْسِي: مَنْ هُمْ «أَصْحَابُ الْفِيلِ»؟

## أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ

– جَيْشُ «أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ» الَّذِينَ عَقَدُوا عَزْمَهُمْ عَلَى هَدْمِ «الْكَعْبَةِ».  
– أَيُّ غَايَةٍ لَيْئِمَةٍ هَدَفُوا إِلَى بُلُوغِهَا!

أَضْوَاءُ مِنَ الْمَوْلِدِ السَّعِيدِ

– مَا أَعْجَبَ أَمْرَ أَوْلَيْكَ الْغُورَةِ الضَّالِّينَ!  
– أَتَرَاهُمْ جَاءُوا مِنْ «الْحَبَشَةِ»، وَقَطَعُوا مَسَافَةً مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ «مَكَّةَ» لِهَذَا الْغَرَضِ  
الْآتِمِ: هَدَمَ بَيْتَ اللَّهِ؟!  
– قَدِمُوا مِنْ «صَنْعَاءَ» إِلَى «مَكَّةَ» فِي جَيْشِ زَاخِرٍ، مَوْفُورِ الْعَدَدِ وَالْعَتَادِ.

## صَنْعَاءُ وَالْحَبَشَةُ

– أَيْنَ «صَنْعَاءُ» مِنَ «الْحَبَشَةِ»، أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ؟ إِنَّ «صَنْعَاءَ» عَاصِمَةُ «الْيَمَنِ»،  
وَلَيْسَتْ مِنْ بُلْدَانِ «الْحَبَشَةِ».  
فَهَلْ هِيَ بَادِرَةٌ سَبَقَ لِسَانُكَ إِلَيْهَا؟  
– كَلَّا. بَلْ هِيَ قَصْدُ قَاصِدٍ. وَكَلِمَةٌ عَنَاهَا قَائِلُهَا!  
– أَلَسْتَ تَقُولُ: إِنَّهُ «أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيُّ» وَجَيْشُهُ؟  
– كَانَ الْحَبَشُ قَدْ اسْتَوْلُوا عَلَى بِلَادِ «الْيَمَنِ» فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ.

## اسْتِيْلَاءُ الْأَحْبَاشِ عَلَى الْيَمَنِ؟

– مَتَى اسْتَوْلُوا عَلَيْهَا؟  
– فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ.  
– فَمَا بَالُ مَلِكِ «الْحَبَشَةِ» يَنْقُلُ حَاضِرَةَ مُلْكِهِ إِلَى «الْيَمَنِ»؟  
– مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟!  
– أَلَمْ يَنْتَقِلْ مَلِكُ «الْحَبَشَةِ» إِلَى «صَنْعَاءَ»، وَيَتَّخِذَهَا حَاضِرَةً لِمُلْكِهِ؟  
– كَلَّا: لَمْ يَنْتَقِلْ مَلِكُ «الْحَبَشَةِ» إِلَى «الْيَمَنِ».  
– أَلَمْ تَقُلْ: إِنَّ «أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيَّ» قَدْ زَحَفَ بِجَيْشِهِ مِنْ «صَنْعَاءَ»، وَهِيَ حَاضِرَةُ «الْيَمَنِ»،  
إِلَى «مَكَّةَ» لِيَهْدِمَ «الْكَعْبَةَ»؟

## أَبْرَهَةُ وَالنَّجَاشِيُّ

– بَلَى. فَهَلْ حَسِبْتَ أَنَّ «أَبْرَهَةَ» كَانَ مَلِكُ «الْحَبَشَةِ»!  
– الْآنَ ذَكَرْتُ أَنَّ مَلِكِ «الْحَبَشَةِ» كَانَ «النَّجَاشِيُّ». فَمَنْ «أَبْرَهَةُ»؟



– وَالِ مِنْ وُلَاةِ «النَّجَاشِيِّ»، أَوْفَدَهُ إِلَى بِلَادِ «الْيَمَنِ»، بَعْدَ أَنْ تَمَّ لِهَذَا «النَّجَاشِيِّ» الْإِسْتِيْلَاءُ عَلَيْهَا.

### التَّفَكِيرُ فِي هَدْمِ الْكُعْبَةِ

– تَعْنِي أَنَّهُ حَاكِمٌ مِنْ قَبْلِ «النَّجَاشِيِّ»؟

– كَذَلِكَ كَانَ.

– فَمَا الَّذِي أَغْرَى الْحَاكِمَ الظَّالِمَ بِهِدْمِ «الْكُعْبَةِ»؟

– وَسُوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ، وَدَفَعَهُ الْغُرُورُ، وَزَيَّنَتْ لَهُ الْأَنَانِيَّةُ أَنْ يَتَرَدَّى فِي الْهَآوِيَةِ.

– أَيُّ فَائِدَةٍ تَوْخَّاهَا مِنْ رُكُوبِ هَذَا الْمَرْكَبِ الصَّعْبِ؟

– وَمَاذَا أَحْفَظَهُ عَلَى «الْكُعْبَةِ»، وَحَفَزَهُ إِلَى ذَلِكَ بُنْيَانِهَا؟

– غَاظَهُ إِقْبَالُ النَّاسِ عَلَيْهَا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ.

– وَمَا بِالْهُ يَغْتَاظُ؟ لَا شَفَاةَ اللهُ مِنْ غَيْظِهِ!

– كَانَ إِقْبَالُ النَّاسِ عَلَيْهَا سَبَبًا فِي تَرْوِيحِ تِجَارَةِ «مَكَّةَ» وَمُضَاعَفَةِ تَرْوِيحِهَا.

– إِنَّ الرِّخَاءَ مَجْلِبَةٌ لِلسُّرُورِ، وَمَدْعَاةٌ لِلْغِبْطَةِ.

– وَلَكِنَّهُ فِي نَفُوسِ الْأَشْرَارِ مَدْعَاةٌ لِلْحَقْدِ، وَمَجْلِبَةٌ لِلْحَسَدِ.

– لَسْتُ أَفْهَمُ: مَاذَا يَضِيرُهُ مِنْ رِخَاءِ «مَكَّةَ»؟ وَمَاذَا يُؤْلِمُهُ مِنْ سَعَادَةِ أَهْلِهَا؟

– أَلَمْ أَقُلْ إِنَّهَا الْغَيْرَةُ وَالْحَسَدُ، وَتَمَنِّي زَوَالِ النُّعْمَةِ عَنْ غَيْرِهِ، وَتَحَرُّفُهُ إِلَى انْتِقَالِ

الصَّدَارَةِ مِنْ «مَكَّةَ» إِلَى «صَنْعَاءَ»؟

– وَأَنْتَى لَهُ ذَلِكَ؟

– لَقَدْ بَدَلَ جَهْدَ الْيَأْسِ، لِيَجْذِبَ النَّاسَ إِلَى «صَنْعَاءَ»، وَيُحَوِّلَهُمْ عَنْ «مَكَّةَ».

– أَيُّ جَهْدٍ بَدَلَهُ؟

– شَيْدٌ مَعْبُودًا صَخْمًا، لِيُحَوِّلَ أَنْظَارَ النَّاسِ إِلَيْهِ، بَدَلًا مِنْ «الْكُعْبَةِ».

– مُحَالٌ مَا أَرَادَ.

– صَدَقْتَ. وَقَدْ بَاءَتْ دَعْوَتُهُ بِالْخِذْلَانِ.

– فَمَاذَا صَنَعَ؟

– هَيَّا لَهُذِهِ الْعَايَةَ الْحَبِيَّةَ جَيْشًا عَظِيمًا مِنَ الرَّجَالِ وَالْفَيْلَةِ لَدُكَ مَعَالِمِ الْبَيْتِ.  
– شَدَّ مَا طَوَّحَ بِهِ الشَّيْطَانُ فِي غَيَابَاتِ الْجَهَالَةِ، وَمَتَاهَاتِ الضَّلَالَةِ!

### هَلَاكُ جَيْشِ أُبْرَهَةَ

– وَلَمَّا أَصْبَحَ «أُبْرَهَةُ» عَلَى مَسَافَةٍ يَسِيرَةٍ مِنَ «الْكُعْبَةِ»، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْجَازِ غَرَضِهِ الْإِثْمَ إِلَّا لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ، كَانَ يَتَرَقَّبُ فِي صَبَاحِهَا أَنْ يُزَلْزَلَ أَرْكَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَيَهْدَمَ بُنْيَانَهُ، وَيَدُكَّ قَوَاعِدَهُ، فَجَآهُ مَا لَمْ يَدْرُ لَهُ فِي حِسَابٍ.  
سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى جَيْشِهِ ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾، وَجَرَائِمِ الْأَمْرَاضِ الْفَاتِكَةِ.

وَسُرَّعَانَ مَا تَفَشَّى فِي أَجْسَادِهِمُ الدَّاءُ، وَسَرَى فِي أَيْدَانِهِمْ سَرِيَانَ الْكُهْرُبَاءِ، فَطَحَنَ جُمُوعَهُمْ طَحْنًا، وَمَحَقَّ كَثْرَتَهُمْ مَحَقًّا.  
– وَهَكَذَا كُتِبَتْ عَلَيْهِمُ الْهَزِيمَةُ السَّاحِقَةُ!  
– بَعْدَ أَنْ هَلَكَتِ الْفَيْلَةُ وَرَاكِبُوهَا، وَنَجَتْ مِنْ وَيْلَاتِهِمْ وَشُرُورِهِمْ «مَكَّةُ» وَسَاكِنُوهَا!  
– وَهَكَذَا بَدَأَ حَادِثُ «الْفِيلِ» بِدَايَةِ رَهِيْبَةٍ، تُنذِرُ بِالشَّرِّ، وَأَنْتَهَى نَهَايَةَ مَوْفُورَةِ الْخَيْرِ.

### جَدُّ الرَّسُولِ

وَكَتَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّصْرَ لـ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»: «جَدُّ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ». –  
وَكَانَ النَّصْرُ الْحَاسِمُ، الَّذِي أَهْدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، تَحِيَّةَ الْهِبَةِ لـ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»: «سَيِّدِ قُرَيْشٍ»، وَهَدِيَّةَ سَمَاوِيَّةٍ لِلْعَرَبِ، تُؤْذِنُهُمْ بِخَيْرِ عَمِيمٍ، وَعِزِّ مُقِيمٍ.  
– كَانَتْ بَشْرَى مَوْلِدِ «دَاعِي الْهُدَى».

– مَا أُبْرِعَهُ اسْتِهْلَالًا!  
– وَأَيُّ اسْتِهْلَالٍ أَرْوَعُ مِنْ أَنْ يَظْفَرَ جَدُّ الرَّسُولِ وَعَشِيرَتُهُ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ السَّعِيدَةِ، عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ!

– لَمْ يَنْكَبُوهَا فِيهَا عَنَاءٌ، وَلَمْ يُرِيقُوا فِي سَبِيلِهَا دِمَاءً.  
– لَكَاَنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الرَّاجِحُ إِيدَانًا وَبِشِيرًا بِمَا يَتَّبَعُهُ مِنْ فَوْزٍ أَعْظَمَ!  
– أَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ سَلَامَةِ «الْكُعْبَةِ» مِنَ الدَّمَارِ؟

أَضْوَاءٌ مِنَ الْمَوْلِدِ السَّعِيدِ

- سَلَامَتُهَا مِنَ الْأَقْدَارِ!

- أَيُّ أَقْدَارٍ؟!

## عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ

- أَلَيْسَتْ «الْكُعْبَةُ» بَيْتَ اللَّهِ؟

- بَلَى.

- فَهَلْ كَانَتِ الْأَعْرَابُ يَعْبُدُونَ، بَيْنَ جُدْرَانِهِ، رَبَّ ذَلِكَ الْبَيْتِ؟

- الْأَنْ فَهَمْتُ. فَقَدْ كَانَتِ الْوَنَائِيَّةُ، حِينِيذٍ، مُتَفَشِّئَةً فِيهِمْ، فَحَشَدُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ

مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنْ أَصْنَامِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ، وَشَغَلُوا بِهَا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ.

- لَعَلَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ «أَصْحَابَ الْفِيلِ»، لِيَكُونَ فِي قُدُومِهِمْ إِنْذَارٌ لَهُمْ

بِغَضَبِهِ عَلَى الْعَرَبِ، بَعْدَ أَنْ فَتَنَتْهُمْ أَصْنَامُهُمْ.

- ثُمَّ مَنْ عَلَيْهِمُ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْخَطَرِ، تَكْرِيماً لِمَوْلِدِ الرَّسُولِ الْمُنتَظَرِ.

- وَكَانَ خَلَاصٌ «الْكُعْبَةُ»، كَمَا قُلْتُ، هُوَ الْفَوْزُ الْأَوَّلُ.

- فَأَيُّ فَوْزٍ تَلَاهُ؟

- مَوْلِدُ الرَّسُولِ الَّذِي طَهَّرَ الْبَيْتَ مِنَ الْأَرْجَاسِ.

## الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ

- لَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا كَانَ الْفَوْزُ الْأَكْبَرَ.

- وَلَكِنْ خَبَّرْنَا، يَا «رَشَادُ»:

أَكَانَ الْحَادِثَانِ السَّعِيدَانِ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ؟

- كَانَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، وَلَعَلَّهُمَا حَدَثَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

- تَعْنِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وُلِدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي نَجَّى اللَّهُ فِيهِ بَيْتَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، بَعْدَ أَنْ

أَهْلَكَ «أَصْحَابَ الْفِيلِ»، وَجَعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ؟

- إِنَّ لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ وُلِدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ، فَإِنَّ مَوْلِدَهُ - كَمَا يَقُولُ

الْمُؤَرِّخُونَ - لَمْ يَتَجَاوَزْهُ بِأَيَّامٍ.

## أَضْوَاءُ مِنَ الْمَوْلِدِ السَّعِيدِ

- لَقَدْ وُلِدَ، عَلَى كُلِّ حَالٍ، فِي ذَلِكَ الْعَامِ.  
- أَيُّ عِيدَيْنِ سَعِيدَيْنِ شَهِدْتُهُمَا «جَزِيرَةُ الْعَرَبِ»!  
- صَدَقْتَ يَا «صَلَّاحُ». فَقَدْ كَانَ حَلَاصُ «الْكَعْبَةِ» مِنْ شَرِّ الْغُرَاةِ مِنْ أَسْعَدِ أَعْيَادِ  
«قُرَيْشٍ»، يُبَشِّرُهُمْ بِمَا يَلِيهِ مِنْ سَعَادَاتِ.  
- كَانَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِنَجْمِ الْفَجْرِ: يُؤَدِّنُ بِالصَّبَاحِ، وَيُبَشِّرُ بِنُورِ  
الشَّمْسِ.

- يَا لَهَا مِنْ ذِكْرِيَاتِ عَطْرَةِ، بَاقِيَةِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ!  
- بَلْ خَالِدَةٍ عَلَى مَرِّ الْأَجْيَالِ وَالذُّهُورِ.  
- يَا لَهَا مِنْ مُفَاجَأَةِ سَعِيدَةٍ!  
- فَكَيْفَ تَلَقَّاهَا وَالِدُ الرَّسُولِ؟  
- تَلَقَّاهَا جَدُّ الرَّسُولِ ﷺ كَمَا يَتَلَقَّى الْإِنْسَانُ أَسْعَدَ أَمَانِيهِ.  
- أَكَانَ وَالِدُ الرَّسُولِ مُسَافِرًا؟  
- كَانَ مُسَافِرًا لِغَايَةِ بَعِيدَةٍ، لَمْ يَعُدْ مِنْهَا إِلَى الْيَوْمِ.  
- إِلَى الْيَوْمِ؟  
- وَرَبَّمَا طَالَتْ فَاسْتَعْرِقَتْ آلَافَ السِّنِينَ.

## مُحَمَّدُ الْيَتِيمُ

- لَقَدْ فَهَمْتُ مَا تَعْنِيهِ، وَمَا أَدْرِي كَيْفَ غَابَ عَنِّي ذَاكَرَتِي أَنْ وَالِدَ الرَّسُولِ مَاتَ قَبْلَ أَنْ  
تَكْتَحِلَ عَيْنَاهُ بِرُؤْيَا مَوْلِدِهِ الْعَظِيمِ!  
- فَلَا عَجَبَ إِذَا وَجَدَ الْجَدُّ فِي حَفِيدِهِ كَثِيرًا مِنَ الْعَزَاءِ: يُخَفِّفُ عَلَيْهِ مَا لَقِيَهُ مِنْ أَلَمٍ  
وَتَبْرِيحٍ، وَيَلَطِّفُ عَلَيْهِ مُصَابَهُ فِي وَادِهِ «عَبْدِ اللَّهِ»، الَّذِي أَتَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي أَوَّلِ مَرَاجِلِ شَبَابِهِ.  
- لَا رَيْبَ أَنََّّهُ وَجَدَ فِي حَفِيدِهِ رَاحَةً وَسَلْوَى.  
- وَلَا عَجَبَ إِذَا حَصَّهُ بِمَوْفُورِ عِنَايَتِهِ.  
- وَلَمْ يَكُنْ يَرَى مُحْيَاهُ الْبَاهِرَ حَتَّى تَوَسَّمَ فِيهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ بِهَجَّةٍ لِمَرَاهِ،  
وَأَحْسَسَ - فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ - أَنَّ لِحْفِيدِهِ شَأْنًا عَظِيمًا، وَأَسْمَاهُ مُحَمَّدًا.

## أُضْوَاءٌ مِنَ الْمُؤَلِّدِ السَّعِيدِ

- لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِمُسْتَعْرَبٍ مِنْ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَقَدْ كَانَ فِيمَا عَرَفَهُ مُعَاصِرُوهُ بَعِيدَ النَّظَرِ، نَافِذَ الْبَصَرِ، صَادِقَ الْفِرَاسَةِ.
- الشَّيْءُ مِنْ مَعْدِنِهِ لَا يُسْتَعْرَبُ.
- وَرَحْمَتَاهُ لِلْوَالِدِ الْعَظِيمِ، يُحْرَمُ الْمُنْعَةَ بِأَبْرِ الْأَبْنَاءِ!
- مَا كَانَ أَجْدَرَهُ بِالْبَقَاءِ، وَأَحَقَّهُ بِطُولِ الْعُمُرِ، حَتَّى يَمْلَأَ نَاطِرِيهِ بِخَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ، وَهَادِي الْعَالَمِينَ.
- وَلَكِنَّهَا حِكْمَةٌ يَعْلَمُهَا اللَّهُ.
- إِنَّهُ امْتِحَانٌ قَاسٍ، يَبْتَلِي بِهِ اللَّهُ أَحَبَّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ.
- لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ. فَقَدْ شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَنْ يُهَيِّئَ رَسُولَهُ، مُنْذُ طُفُولَتِهِ، لِحَيَاةٍ خَشِنَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْأَشْوَاكِ، وَيُرَوِّضَهُ عَلَى احْتِمَالِ مَا لَا يُحْتَمَلُ مِنَ الْمَصَاعِبِ وَالْمَشَاقِّ، وَيُعِدَّهُ لِلصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ الَّتِي لَا يَصْبِرُ عَلَى بَعْضِهَا أَحَدٌ.
- لِإِهْيَئِ لَهُ، بَعْدَ اجْتِيَازِهَا، نَتَائِجَ لَمْ يَحْلُمْ بِبَعْضِهَا أَحَدٌ.
- عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ يَكُونُ النَّوَابُ.
- وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا عَزَّ الْمَجْدُ عَلَى الطُّلَابِ.

## وَفَاءُ وَالِدَيْهِ

- لَقَدْ مَاتَ وَالِدُ الرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ وِلَادَتِهِ، كَمَا تَعَلَّمَانِ.
- وَلَمْ تَلْبَثْ أُمُّهُ إِلَّا سِنِينَ قَلِيلًا، حَتَّى لَحِقَتْ بِهِ.
- صَدَقَتْ. فَلَمْ يَكِدِ الْوَالِدُ الْعَظِيمُ يَبْلُغُ السَّادِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ، حَتَّى لَحِقَتْ أُمُّهُ بِأَبِيهِ.
- عَلَى أَنَّهُ وَجَدَ فِي جَدِّهِ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» عِزَاءً عَنْ كِلَيْهِمَا.
- لَيْتَهُ عَاشَ لَهُ بِضْعَ سَنَوَاتٍ!
- «لَيْتَ؟! وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئًا لَيْتَ!»

## وَفَاءُ جَدِّهِ

- لَمْ تَكِدِ السَّيِّدَةُ «أَمَنَةُ»: أُمُّ الرَّسُولِ تَلْقَى رَبَّهَا، حَتَّى لَحِقَ بِهَا جَدُّهُ «عَبْدُ الْمُطَّلِبِ»، بَعْدَ عَامَيْنِ اثْنَيْنِ.

- وَ رَحْمَتَاهُ لِسَيِّدِ الْمَجَاهِدِينَ وَخَاتَمِ الرُّسُلِ؛ لَا يَنْعَمُ بِأُمَّهِ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ أَعْوَامٍ!  
 – أَحْسِبْتَ أَنَّهُ نَعِمَ بِأُمَّهِ خِلَالَ هَذِهِ الْأَعْوَامِ السِّتَّةِ؟  
 – أَلَمْ تَمُتِ السَّيِّدَةُ «أَمْنَةُ» وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ مِنْ عُمُرِهِ؟  
 – بَلَى. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْعَمَ بِهَا فِي تِلْكَ السَّنِينَ الْقَلِيلَةِ.  
 – الْآنَ ذَكَرْتُ مَا حَدَّثْتَنَّا بِهِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي.  
 – مَاذَا ذَكَرْتَ، يَا «صَلَّاحُ»؟  
 – ذَكَرْتُ أَنَّ «رَشَادًا» قَالَ لَنَا، فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْعَامِ الْمَاضِي، إِنَّ أُمَّ الرُّسُولِ ﷺ قَدْ جَفَّ لِبَنَاتِهَا حَزْنًا عَلَى مَوْتِ زَوْجِهَا، فَلَمْ يَطْفُرْ مِنْهَا، فِي زَمَنِ رِضَاعَتِهِ، بِمَا يَطْفُرُ بِهِ الْوَلَدُ مِنَ لِبَانِ أُمِّهِ، وَإِنَّهَا وَكَلَّتْهُ إِلَى جَارِيَةِ عَمِّهِ «أَبِي لَهَبٍ» لِتَرْضِعَهُ.  
 – وَالْآنَ ذَكَرْتُ مَا قَالَهُ «رَشَادٌ» بِمُنَاسَبَةِ تِلْكَ الذُّكْرَى الْخَالِدَةِ.  
 – مَاذَا قَالَ؟  
 – أَلَمْ يُحَدِّثْنَا أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ – سُبْحَانَهُ – قَدْ سَحَّرَتْ جَارِيَةَ «أَبِي لَهَبٍ» لِتَحْفَظَ حَيَاةَ الرُّسُولِ مِنَ التَّلْفِ، وَلِتَتَّيْحَ لَهُ فُرْصَةُ الْقَضَاءِ عَلَى ذَلِكَ الطَّاعِيَةِ الَّتِي أَهْلَكَهُ الْغَيْظُ حِينَ سَمِعَ انْتِصَارَ الرُّسُولِ فِي غَزْوَةِ «بَدْرٍ»؟  
 – مَا أَعْجَبَ تَصَارِيفَ الْأَقْدَارِ!  
 – اللَّهُ فِي خَلْقِهِ شُنُونٌ.

### رِضَاعَتُهُ فِي الْبَادِيَةِ

- وَقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ إِحْدَى الْبِدَوِيَّاتِ اللَّاتِي يَقْدَمَنَّ عَلَى «مَكَّةَ» فِي مَوْسِمَيْنِ – مِنْ كُلِّ عَامٍ – لِیَرْضِعَنَّ أَبْنَاءَ الْأَعْنِيَاءِ، وَعَطَفَ قَلْبَهَا عَلَى ذَلِكَ الرَّضِيعِ، فَصَحِبَتْهُ مَعَهَا لِتَرْضِعَهُ بِلَا أَجْرِ.  
 – وَقَدْ لَقِيَتْ مِنَ اللَّهِ، عَلَى عَمَلِهَا، أَجْرًا عَظِيمًا.  
 – صَدَقْتَ. فَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ لَهَا وَلِقَوْمِهَا كُلِّ خَيْرٍ، وَحَالَفَتِ الْبُرْكََةَ أَغْنَاهُمْ وَنَبَاتَهُمْ فِي الْبَادِيَةِ، فَسَمِنَتِ الْأَعْنَامُ، وَكَثُرَ النَّبَاتُ.

أُضْوَاءٌ مِنَ الْمُؤَلِّدِ السَّعِيدِ

– «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ.»

– «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» ...

### إِيذَاءُ قُرَيْشٍ

– لَقَدْ دَابَّتْ «قُرَيْشٌ» عَلَى مُنَاوَاةِ الرَّسُولِ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِيذَائِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

وَلَمْ يَأْلُوا جُهْدًا فِي الْكَيْدِ لِلْمُسْلِمِينَ – بَعْدَ هِجْرَتِهِ – وَلَمْ يَكْفُوا لِحُطَّةٍ عَنِ الْحَاقِ الْأَذَى بِهِمْ، وَالْإِفْتِنَانِ فِي مُحَارَبَتِهِمْ وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَحَالُوا – مَا وَسِعَهُمُ الْجُهْدُ – بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالرَّاعِبِينَ فِيهِ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جِهَادُهُمْ.

### الْإِذْنُ بِالْحَرْبِ

– بَعْدَ أَنْ أَدِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْمُشْرِكِينَ.  
وَلَمْ يَكِدِ الرَّسُولُ يُعْلِنُ الْجِهَادَ حَتَّى تَوَالَّتِ الْعَزَوَاتُ، وَأَنْتَهَتْ بِالِاتِّصَارَاتِ الَّتِي كَمَلَتْ بِانْتِشَارِ الْإِسْلَامِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

### فَتْحُ «مَكَّةَ»

– وَلَمْ يَكِدْ يَنْقُضِي عَلَى هِجْرَتِهِ تَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ حَتَّى يَسَّرَ اللَّهُ فَتْحَ «مَكَّةَ»، فَدَخَلَهَا مُنْتَصِرًا، وَطَهَرَ «الْكُعْبَةَ» مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ «قُرَيْشٌ» تَعْبُدُهَا، وَكَانَ عَدَدُهَا – حِينَئِذٍ – ثَلَاثِمِائَةً وَسِتِّينَ صَنَمًا.

### الرَّسُولُ يَصْفَحُ عَنْ قُرَيْشٍ

– وَلَمَّا تَمَّ لَهُ النَّصْرُ عَلَى مُخَالَفِيهِ مِنْ «قُرَيْشٍ»، تَوَجَّ ذَلِكَ بِالصَّفْحِ الشَّامِلِ عَنْهُمْ.  
– وَرَأَتْ «قُرَيْشٌ» مَا تَمَيَّزَ بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ مِنْ عَفْوٍ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

– وَأَتَمَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ نِعْمَتَهُ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ.

## وفاة الرسول

وَلَمْ تَنْقُضْ عَلَى هَجْرَتِهِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، حَتَّى صَعِدَتْ رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى،  
رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً.  
- كَانَتْ سِنُهُ حِينَئِذٍ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

## دفن الرسول في المدينة المنورة

- نَعَمْ. وَدُفِنَ ﷺ بِ«الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ».  
- مَا أَكْثَرَ مَا تُثْبِرُهُ ذِكْرَى الرَّسُولِ مِنْ تَأْمَلَاتٍ عَمِيقَةٍ!  
- ﴿إِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.  
- وَمَا أَكْثَرَ الْمَبَادِيءِ الْعَالِيَةِ الَّتِي غَرَسَهَا فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهِ، فَكَانَ لَهَا أَبْعَدُ الْأَثَرِ فِي  
بِنَاءِ هَذِهِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الشَّامِلَةِ، وَبَقَائِهَا، مُنْذُ غَرَسَهَا، إِلَى الْيَوْمِ.

## الإسلام يوحد العرب

- لَقَدْ نَفَخَ الرَّسُولُ مِنْ رُوحِهِ الْقَوِيِّ فِي تِلْكَ الْقَبَائِلِ الْمُتَفَرِّقَةِ، فَالَّفَ بَيْنَ أَشْتَاتِهَا، وَوَحَّدَ  
بَيْنَ أَهْدَافِهَا.  
- وَخَلَقَ مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَعَادِيَةِ الْمُتَنَافِرَةِ الْمُتَبَاغِضَةَ أُمَّةً إِسْلَامِيَّةً مُوَحَّدَةً الْأَعْرَاضِ،  
مُؤْتَلِفَةً النَّزَعَاتِ، مُرَكَّزَةً الْقَوَى، فَزَلَزَتِ الْجِبَالَ أَمَامَ عَزِيمَتِهَا، وَلَمْ تَنْبُتْ أَقْدَامُ الطُّغَاةِ  
لِهَجْمَتِهَا!  
- قُلْ مَا تَشَاءُ، فَلَنْ تَبْلُغَ - مِمَّا تُرِيدُ - الْمَدَى.  
- لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ فَاقَتْ جَلَائِلَ أَعْمَالِهِ غَايَاتِ الْوُصْفِ، وَأَعْجَزَتْ أَسْنَى رَوَائِعِ  
الْبَيَانِ.  
- حَسْبُكُمْ، أَيُّهَا الصَّدِيقَانِ، أَنْ تَقْفَا عِنْدَ الْمَبَادِيءِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي غَرَسَهَا فِي نُفُوسِ  
صَحَابَتِهِ، فَكَسَبَتْهُمْ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ.  
- مَا أَكْثَرَ مَا غَرَسَهُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْمَبَادِيءِ السَّامِيَةِ، يَا «رِشَادُ». فَلِمَازَا قَصُرَتْ  
مَبَادِيئُهُ عَلَى أَرْبَعَةٍ؟



- كَانَتْ هَذِهِ الْمَبَادِئُ الْأَرْبَعَةُ أَشْبَهَ بِأَعْمَدَةٍ قَامَ عَلَيْهَا ذَلِكَ الْبِنَاءُ الشَّامِخُ، كَمَا كَانَتْ هِيَ الْأُصُولُ الَّتِي تَتَفَرَّعُ مِنْهَا جَمِيعُ الْمَبَادِئِ الْعَالِيَةِ.  
- مَا أَبْرَعَكَ فِي التَّشْوِيقِ، وَإِثَارَةِ «الِإِنْتِبَاهِ» يَا «رَشَادُ»!  
- إِنَّهَا مَبَادِئُ أَرْبَعَةٍ، لَا تَتِمُّ سَعَادَةُ الْإِنْسَانِ بِغَيْرِهَا.  
- وَاعْجَبًا! إِنَّ السَّعَادَةَ، فِيمَا يَقُولُونَ، غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ.  
- إِنَّ طَرَائِقَ السَّعَادَةِ مَعْرُوفَةٌ وَاضِحَةٌ، وَلَكِنَّهَا عَسِيرَةٌ شَاقَّةٌ، لَا يَجْتَازُهَا إِلَّا مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ نِعْمَةَ التَّوْفِيقِ.

وَسَتَرَيَانِ أَنَّ تِلْكَ الْمَبَادِئَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي غَرَسَهَا الرَّسُولُ فِي صَحَابَتِهِ هِيَ، وَحْدَهَا، الطَّرَائِقُ الْمُوَصَّلَةُ إِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

- بَرِّكَ إِلَّا مَا عَجَلْتُمْ لَنَا بِذِكْرِهَا، يَا «رَشَادُ»، بَعْدَ أَنْ أَلْهَبْتَ شَوْقَنَا إِلَيْهَا.  
- إِنَّكُمْ لَتَعْرِفَانِهَا، كَمَا أَعْرِفُهَا، وَكَمَا يَعْرِفُهَا كُلُّ مُسْلِمٍ حَقَّ الْمَعْرِفَةَ. وَلَكِنَّ الْمَعْرِفَةَ وَحْدَهَا - لَا تَكْفِي.

- فَمَاذَا يَبْقَى وَرَاءَ الْمَعْرِفَةِ؟  
- الْإِنْتِفَاعُ بِمَا يَعْرِفُ!  
- صَدَقْتَ. فَلَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَنَّ فِي طَرِيقِهِ هَاوِيَةً سَحِيقَةً يَهْلِكُ مَنْ تَرَدَّى فِيهَا عَلَى الْفُورِ، ثُمَّ لَمْ يُعِدِّ نَفْسَهُ لِلْحَذَرِ مِنْهَا، وَتَرَخَى فِي الْإِحْتِيَاطِ، لِتَوَقِّي السَّقُوطِ فِيهَا، لَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُ عَدِيمَةً الْجَدْوَى.

- بَلْ كَانَ أَجْدَرَ بِاللُّومِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الْمَعْذِرَةِ مِمَّنْ جَهَلَهَا، وَلَمْ يُدْرِكْ خَطَرَهَا.  
- وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا عَرَفَ أَنَّ نَجَاتَهُ عَلَى قَيْدِ خُطَوَاتٍ مِنْهُ، ثُمَّ قَصَرَ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِمَا عَرَفَ ...  
- لَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ!

## الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

- الْأَنَّ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا قِيمَةَ لَهَا، إِذَا لَمْ يَصْحَبْهَا الْعَمَلُ عَلَى اسْتِثْمَارِهَا، وَالْإِنْتِفَاعِ بِهَا.

- ذَلِكَ يَقِينٌ لَا رَيْبَ فِيهِ.  
- وَلَكِنَّكَ لَا تَزَالُ تَشْوُقُنَا إِلَى تِلْكَ الْمَبَادِئِ الْعَالِيَةِ الْأَرْبَعَةِ، الَّتِي بَنَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ.

وَلَقَدْ تَشَعَّبَتْ طَرَائِقُ الْقَوْلِ، دُونَ أَنْ تَنْتَهِيَ بِنَا إِلَيْهَا.  
 - شَدَّ مَا يُدْهِسُنِي أَنْكُمَا لَا تَذَكُرَانَهَا، وَقَدْ حَفِظْتُمَاهَا فِي أَوَّلِ عَهْدِكُمَا بِالْقِرَاءَةِ!  
 - أَلَا ذَكَرْتَهَا لَنَا، يَا «رَشَادُ»، فَقَدْ عَلَوْتَ فِي امْتِحَانِ صَبْرِنَا!

### الْمَبَادِيُ الْأَرْبَعَةُ

- إِنَّهَا، يَا صَاحِبِي: الْإِيمَانُ، وَعَمَلُ الصَّالِحَاتِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.  
 - بِاللَّهِ، كَيْفَ غَابَتْ عَنَّا هَذِهِ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةُ، وَقَدْ حَفِظْنَاهَا فِي سُورَةِ «الْعَصْرِ»!  
 - أَلَمْ أَقُلْ لَكُمَا: إِنَّهَا مَبَادِيُ لَا يَجْهَلُهَا مُسْلِمٌ أَبَدًا!  
 - صَدَقْتَ. وَهِيَ بِالِغَةِ بِأَصْحَابِهَا سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ.  
 - كَمَا أَنَّ إِغْفَالَهَا كَفِيلٌ بِالتَّرَدِّي فِي مَهَاوِي الدُّلِّ وَالشَّقَاءِ.  
 - إِنَّ مَنْ حُرِمَهَا لَفِي ضَلَالٍ وَخَسَارٍ، وَعَيْ وَبَوَارٍ.  
 - يَسْتَقْبِلُهُ الْإِخْفَاقُ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْأَجْرَةِ مَاوَاهُ النَّارِ.  
 - لِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.  
 - مَا أَبْرَعَكَ مُحَدِّثًا وَمُوجِّهًا، أَيُّهَا الصَّدِيقُ!  
 - إِنَّمَا أَنْتَفَعُ بِتَوْجِيهِ الرُّسُولِ وَهَدْيِهِ. وَهُوَ خَيْرٌ مَا يَصْنَعُهُ الْمُسْلِمُونَ لِتَكْرِيمِ هَذِهِ  
 الذُّكْرَى الْجَلِيلَةِ.

- صَدَقْتَ، يَا «رَشَادُ»، فَإِنَّ خَيْرَ مَا نُكْرِمُ بِهِ ذِكْرَى مَوْلِدِ الرُّسُولِ الْأَمِينِ أَنْ نَتَّبِعَ سُنَّتَهُ،  
 وَنَعْمَلَ بِإِرْشَادِهِ وَنَصَائِحِهِ.  
 - وَأَنْ نَسْتَهْدِفَ مَبَادِيَهُ الصَّالِحَةَ، فَنَنْظُرَ بِمَا وَعَدَنَا اللَّهُ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ.  
 - لَقَدْ جَمَعْتَ هَذِهِ الْمَبَادِيُ الْأَرْبَعَةَ - كَمَا تَقُولُ - كُلُّ وَسَائِلِ الْفَوْزِ وَالنَّجَاحِ.  
 - وَبِهَذِهِ الْمَبَادِيُ الْأَرْبَعَةَ دَانَتْ الدُّنْيَا لِأَوْلِيكَ الْمُجَاهِدِينَ، وَعَلَبَتِ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةَ الْعَدَدِ  
 وَالْعُدَدِ، أضعافها من المشركين، الموفوري القوى والعتاد.  
 - مَا أَجْدَرَ هَذِهِ الْوَصَايَا الْأَرْبَعَةَ أَنْ تُنْقَشَ فِي كُلِّ قَلْبٍ!  
 - إِنَّهَا، عَلَى كُلِّ حَالٍ، شِعَارُ النَّجَاحِ.

## النَّبَاتُ عَلَى الْمَبْدَأِ

– لَوْلَا الْإِيمَانُ، وَعَمَلُ الصَّالِحَاتِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ: لَمَا اسْتَطَاعَ الرَّسُولُ الْأَمِينُ وَهُوَ فَرْدٌ وَاحِدٌ، أَنْ يُوَاجِهَ السَّاحِرِينَ الْهَازِبِينَ، أُولِي الْبَأْسِ وَالْقُوَّةِ، وَيَتَصَدَّى لِأَوْلَتِكَ الْعُتَاةِ، كَالجَبَلِ الرَّاسِخِ، ثَابِتًا لَا يَتَزَعَّزَعُ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى غَرَضِهِ.

– وَلَوْلَا هَذِهِ الثَّقَّةُ الْفَرِيدَةُ لَمَا جَرَّوْا عَلَى التَّفَوُّهِ، أَمَامَ تِلْكَ الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ الْحَاقِدَةِ، بِتِلْكَ الْقَوْلَةِ الْخَالِدَةِ.

– لَعَلَّكَ تَعْنِي قَوْلُهُ لِعَمِّهِ، حِينَ تَأَلَّبَتْ عَلَيْهِ «قُرَيْشٌ»، لِتَصُدَّهُ عَنْ سَبِيلِهِ، وَتَثْنِيَهُ عَنِ الْمُضِيِّ فِي رِسَالَتِهِ.

– لَسْتُ أَعْنِي غَيْرَ ذَلِكَ.

– مَا أَرَوْعَهُ مَنْظَرًا، إِذْ يَقُولُ الرَّسُولُ لِعَمِّهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْحَرِجِ الَّذِي يُدْخِلُ الْيَأْسَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ:

«وَاللَّهِ يَا عَمُّ: لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ!»

– أَرَأَيْتَ فَضَلَ الْإِيمَانَ عَلَى صَاحِبِهِ؟

أَمَّا عَمَلُ الصَّالِحَاتِ فَمَا أَحْسَبُ أَحَدًا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْأَمْتَلَةِ، فَهِيَ كَثِيرٌ أَمَامَ مَنْ يَدْرُسُ حَيَاةَ الرَّسُولِ وَصَحَابَتِهِ.

– لَا رَيْبَ أَنَّهَا فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى دَلِيلٍ.

– إِلَّا إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ، وَاحتَاجَتِ الشَّمْسُ فِي إِبَانِ ظُهُورِهَا، إِلَى مَنْ يُقِيمُ

الرُّهَانَ عَلَى نُورِهَا!

– صَدَقْتَ. فَمَا كَانَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَسَكَنَاتُهُمْ، وَرَاحَتُهُمْ وَجِهَادُهُمْ، وَحُلُّهُمْ وَتَرْحَالُهُمْ،

وَقِيَامُهُمْ وَقُعُودُهُمْ، وَرُكُوعُهُمْ وَسُجُودُهُمْ، إِلَّا أَعْمَالًا صَالِحَاتٍ.

## التَّوَاصِي بِالْحَقِّ

– أَمَّا التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، فَمَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ تَسْمَعَاهُ فِي هَذَا الصَّدَدِ!

لَقَدْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُوصِي نَفْسَهُ، كَمَا يُوصِي غَيْرَهُ، بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، لَا تَأْخُذْهُ فِي ذَلِكَ هَوَادَةٌ.

- كَانُوا يَسْتَعْدِبُونَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ.  
- إِنَّ مَنْ يَتَّبِعْ حَيَاةَ الرَّسُولِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ لَحُظَّةً بَعْدَ لَحُظَّةٍ، مِنْ بَدَيْتِهَا إِلَى نَهَائِتِهَا، لَيَرَى إِلَى أَيِّ مَدَى كَانُوا يَتَوَاصُونَ بِالْحَقِّ: الْحَقُّ وَحْدَهُ، وَلَا يَهْدِفُونَ إِلَى غَيْرِهِ، وَكَيْفَ كَانُوا يَسْتَمِيتُونَ فِي إِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَالِدِّفَاعِ عَنْهُ، وَإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ، وَالتَّوَقِّي مِنْهُ؛ كَلَّفَهُمْ ذَلِكَ مَا كَلَّفَهُمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَأَرْوَاحٍ.

- وَهَلْ كَانَ جِهَادَ الرَّسُولِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ إِلَّا تَحْقِيقًا لِهَذِهِ الْغَايَةِ النَّبِيلَةِ؟!  
- صَدَقَتْ. وَفِي سَبِيلِ ذَلِكَ أَزْهَقْتَ أَرْوَاحَ الصَّفْوَةِ مِنْ أَطْهَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبْرَارِ الْمَجَاهِدِينَ.

- أَمَّا التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، فَقَدْ تَجَلَّى فِي كُلِّ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِمْ، وَفِي كُلِّ أَرْزَمَةٍ مِنْ مُحْرَجَاتِ الْأَرْزَمَاتِ الَّتِي اعْتَرَضَتْهُمْ.

- كَانَتْ مَازِقَ مُحْرَجَةٍ، تُرْهَقُ النُّفُوسَ، وَتُمَزِّقُ الْأَجْسَامَ.  
- جَزَاكَ اللَّهُ حَيْرًا، يَا «رَشَادًا»، بِمِقْدَارِ مَا أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا بِهَذِهِ التَّوَجِيهَاتِ.  
- إِنَّهَا، أَيُّهَا الصَّدِيقَانِ الْعَزِيزَانِ، نَفَحَاتُ مَنْ ذَكَرَى الْمَوْلِدَ السَّعِيدَ، جَدِيرَةٌ أَنْ تَمَلَأَ الدُّنْيَا هَدْيًا وَنُورًا.

- بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، وَسَدَّدَ خَطَاكَ، وَنَفَعَنَا اللَّهُ بِمَا أَنْزَلَهُ لَنَا مِنْ سُبُلِ الْهُدَايَةِ وَالسَّعَادَةِ.  
- نَفَعَنَا اللَّهُ جَمِيعًا بِمَا غَرَسَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ مِنْ قَوِيمِ الْمَبَادِي وَعَظِيمِ الْخِصَالِ.  
- اللَّهُمَّ آمِينَ.

- آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ!



